في المصيف

كان من عادة عائلة رامز فتحي أن تقضي أشهر الصيف في مصايف لبنـان. ولم يلبثوا بعد أن اطمأن الوالد الى رحيل ابنه الأكبر أن أخذ عائلته وذهـب الـى مصيف عاليه. فهناك سيكون قريبا من الحركة ومن مجرى الأمور، ولـن تلفـت اتصالاته انتباه أحد. وكان الأمر ملائما جدا للأستاذ لطفي، فهو بـسبب خطوبتـه لأمل يجد مبررا أيضا لتلك الزيارات الكثيرة الى عاليـه ويغطـي بهـا مراميـه البعيدة..

وفي ليلة مقمرة، كانت نهلا وأمل تتغلغلان بين أحراج الصنوبر في نزهة. كان يبدو على وجه أمل هم يثقل نفسها، وتنهدت فجأة، فنظرت اليها نهلا متسائلة. ولم تجد أمل حرجا في أن تبثها شجنها. ان نهلا أكبر منها سنا وأكثر دراية في أمور كثيرة:

- أشعر يا نهلا أن بيني وبينه حاجزا من البرود والتصنع لا يمكن تخطيه.. كيف يجب أن تتصرف الفتاة لتعجب الرجل؟

وأفعم قلب نهلا بالسرور. ان هذا يعني أن لطفي ليس جادا في حب أمل. كانت الغيرة تنهشها طوال الشهر الماضي، غيرة أسهرتها ليالي طوالا. ولكنها ضـمتها في ضلوعها، وحذرت أن تنم عنها فتحاشت كل مجلس ضم أمل وفتحي معا. لماذا بعد، هذا الإندفاع نحو رجل اختار غيرها؟ أما الآن فانها تحس بقلبها يخفق مـن جديد.. ان عليها أن تسترد حبها ولا تسلمه بسهولة. وشعرت أنها لن تكون أبـدا مخلصة في نصيحة أمل فالتزمت الصمت. وأردفت أمل قائلة وهي ترفع غـصنا يعترض طريقها وفي حلقها تغص الكلمات:

- أكان علي حين تلفن واعتذر عن القدوم في الأسبوع الماضـي أن أتـصرف تصرفا أحمق، وألح عليه بالقدوم حتى يدرك بأنني أحبه؟ يبدو أن هذا ما يرضـي الرجل. لعله يعتبر رزانتي برودا وقلة مبالاة!

وغمرت نهلا موجة خجل من مشاعرها التي لا تنسجم وصداقتها لأمل:

- أتحبينه يا أمل؟

ونظرت اليها أمل باستغراب وقالت:

- لماذا لا أحبه؟ أليس خطيبي؟
- أتحبينه لأنه خطيبك؟
- أعني أنني لو لم أحبه لما رضيت أن يكون خطيبي.. لماذا؟ انني لا أفهم لماذا! ليس شكلي قبيحا، ولست غبية ولا فاشلة. عيب أن يمدح الإنسان نفسه، ولكننـي واثقة أن لدي من الصفات ما لا يمكن لرجل الاّ أن يعجب بها!
- ربما كنت رزينة أكثر مما يجب..
- انني عاطفية، ممتلئة بالعاطفة.. ولكنني أخجل أن أعلنها أو أتظـاهر بهـا. لا أحب المواقف التمثيلية كما في الروايات، ولا أحب عبارات التملق والنفـاق.. ان حبي واخلاصي يتبدى في شكل أكثر عمقا، وأبعـد عـن الزخـرف والـدجل.. واستدركت أمل كلامها:
- ولكن عاطفتي ملكي.. لو تأكد لي أنه لا يحبني.. ولكـن لمـاذا لا يحبنـي؟.. لوتأكد لدي أنه لا يحبني لألقيت له بالخاتم واقتلعت عاطفتي من جذورها!..

* * *

ليال وأمل قلقة سهارة العينين رغبة تلح عليها في أن تترك المصيف وتعود الى دمشق.. ماذا تعني هذه التصرفات؟ هل هي بريئة أم تحمل معنى آخر؟ لو تدري، لو تتأكد! انها تخشى أن تكون واهمة فتفغر هوة من الكره بينهـا وبـين لطفـي ونهلا.. ان جراح سوء الظن لا تندمل.. ولكنها لا تستطيع حين تستعيد في ذاكرتها كيف تجري الأمور في المصيف الاّ أن تنرفز في غـضب.. ماهـذا؟ ان نهـلا تتصرف بقلة ذوق.. لماذا هذا المزاح الكثير مع لطفي؟ لماذا كـل هـذا التجمـل والعناية بمظهرها فتذهب الى نزهة وكأنها ذاهبة الى احتفال؟ لمـاذا كـل هـذه الحركات والبسمات؟ لماذا ترفع الكلفة بهذا الشكل؟ لقد بات الأمر غريبا عجيبـا.. يتحدثان عن الفن وتبقى هي صامتة.. ان الحديث في الفن لا غبار عليه ولكن حتى الكلام الذي لا غبار عليه يمكن أن يحمل في أعماقه معنى آخر بالنسبة اليهمـا.. انها تذكر النزهات وحفلات الرقص، وتذكر أن اهتمام لطفي بنهلا يفوق اهتمامـه بها.. وعذبتها الغيرة حتى لتشعر بالإختناق وبالدموع تطفر من عينيهـا.. وعبثـا حاولت التخلص من عذابها.. لقد وقفت ارادتها عاجزة أمام هذه المشاعر الغريبة..

وتزعزعت ثقتها بنفسها ولاحظت أنها لأول مرة تقارن مزاياها بما لنهلا من مزايا.. لماذا؟ انها تعرف نهلا عارية من الزخرف، وتعرف مواضع ضعفها. أفيمكن أن تكون هذه الصفات في عجزها أكثر إغراء للرجل؟ وصرخت في أعماقها ثورة كبريائها:

- لا يمكنني أن أتخلى عن صفاتي! انني أعتز بها.. لا يمكنني أن أتخلى عنها لأعجب رجلا.. لست أرضى أن يكون هدفي ارضاء ذوق رجل يفضل الميوعة.. لن أربط مصيري بمثل هذا الرجل.. لا أريد أن يحكمني رجل!

ومع ذلك فلم تكن لتستطيع أن تتخذ رأيا حاسما.. لقد باتت وهي الفتاة الحازمة مترددة لا تدري ماذا تفعل.. انها تصل الى المدى الذي تود فيه أن تلقي بالخاتم وتتحرر من كل قيد، ولكنها لا تلبث أن تستولي عليها خشية من أن تكون واهمة فتجرحهما وتصوح بسعادتها وتندم.. فتهمس لنفسها في حيرتها:

- لماذا لا أجرب؟ ولماذا لا أعيش هذه التجربة حتى النهاية؟ انني بالرغم من ثقافتي وسني طفلة في شؤون الحب!.

ولكن ذلك الشك الذي باتت أمل تعانيه لم يلبث أن وسم لهجتها وتعابير وجهها اذ تحدثها نهلا..

كانت نهلا تتهيأ للخروج هي وأم ابراهيم وابن زوجها الصغير لمشاهدة حفلة انتخاب ملكة جمال المصيف، فقالت لأمل التي جلست تقرأ كتابا:

- ألن تذهبي معنا؟
- كلا..
- ستكون حفلة ظريفة!
- لست أبالي بهذه السخافات..

وأردفت بعد قليل، ووجهها متجهم وعيناها مثبتتان على الكتاب:

- ألا يجوز أن تذهبي بدوني؟

كان يبدو أنها تحمل وغرا في صدرها ينم عنه شحوب وجهها الأسمر واللامبالاة التي تتظاهر بها، ونظرة الريبة في عينيها، والترفع في حركاتها.. وتطلّعت اليها نهلا ببراءة وقالت:

- ولكن! كنت أحسب أنك تسرين..

وتباسمت أمل في مرارة وقالت:

- ألا ترينني؟ انني مسرورة جـدا! والحمد لله..

وأحست نهلا من لهجتها والطريقة المؤكدة التي لفظت بها كلمة جـدا أن أمـل تساورها الظنون، واستدارت وخرجت وقد أحزنها الأمر كثيرا، وراحـت تـردد لنفسها:

- انني أحطم كل شيء جميل في حياتي!

وشعرت بالتعاسة والإنكسار، ولكنها ما لبثت أن وجدت مبررا لنفسها:

- ولكن ما ذنبي أنا؟ ما ذنبي أنا؟

* * *